جامعة الأزهر
AL-AZHAR UNIVERSITY

عناية الإمام الذهبي بعلم أصول الفقه

جزء من رسالة مقدمة لاستكمال متطلبات الحصول على درجة الماجستير في أصول الفقه عنوانها : " آراء الإمام الذهبي الأصولية المتعلقة بخبر الواحد والقياس والاجتهاد جمعا ودراسة "

إعداد

عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن الدخيّل

باحث ماجستير بقسم الفقه وأصوله

كلية الشريعة والقانون - جامعة حائل

(المملكة العربية السعودية)

بحث مستل من الإصدار الرابع ٢/١- العدد التاسع والثلاثون

أكتوبر/ ديسمبر ٢٠٢٤م

عناية الإمام الذهبي بعلم أصول الفقه

جزء من رسالة مقدمة لاستكمال متطلبات الحصول على درجة الماجستير في أصول الفقه عنوانها : " آراء الإمام الذهبي الأصولية المتعلقة بخبر الواحد والقياس والاجتهاد جمعا ودراسة "

إعداد

عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن الدخيّل

باحث ماجستير بقسم الفقه وأصوله
كلية الشريعة والقانون - جامعة حائل
(المملكة العربية السعودية)

موجز عن البحث

بعد النظر في كتاب سير أعلام النبلاء خاصة وغيره من كتب الإمام الذهبي، استخرتُ الله ﷻ في استخراج الآراء الأصولية للإمام شمس الدين الذهبي ، وعنونتُ لهذا البحث بـ(التعريف بالإمام الذهبي وإبراز الجانب الأصولي عنده) المستنبط من رسالتي لنيل درجة الماجستير، وعنوان الرسالة (آراء الإمام الذهبي الأصولية المتعلقة بخبر الواحد والقياس والاجتهاد جمعاً ودراسةً).

ويهدف هذا البحث إلى ترجمةُ الإمامِ الذَّهَبِيِّ من خلال : معرفة اسمه ونَسَبُه وكنيته ومولدُه ونشأتُه ، وشيوخُه وتلاميذُه، ووفاته ، كذلك معرفة كتب الإمام الذهبي ومكانتها العلمية، وما يتعلق منها بالأصول.

وقد اتبعتُ في هذه الرسالة المنهج الاستقرائي والوصفي، وقسمتُه إلى: مبحثين وخاتمة تضمن أهم نتائج البحث وتوصياته .

ومن أهم النتائج التي خلص إليها البحث: أن الإمام شمس الدين الذهبي

واحد من الأفذاذ القلائل في مسيرة علوم الحديث والرجال والتأريخ الإسلامي، وقد دلت آثاره العلمية واتجاهاته الفكرية على سعة أفقه وعلمه وحفظه، وقدرته الفائقة على نقد الرجال وتصوير التاريخ، حتى أصبحت أقوال الذهبي فيمن يترجم لهم ويؤرخ، تعتبر عند النقاد والمؤرخين الذين جاءوا بعده أقصى حدود الاعتبار.

كما أن الإمام الذهبي يعتبر هو شيخ المحدثين ومؤرخ الإسلام، وأحد الأفذاذ في مسيرة علوم الحديث والرجال والتأريخ الإسلامي. ولعلَّ كتابه "سير أعلام النُّبَلاء" -الذي هو محل بحثنا هذا- أكبر مثالٍ ودليلٍ على ذلك.

الكلمات المفتاحية : الإمام ، الذهبي، الجانب الأصولي ، سير أعلام النبلاء.

Imam Al-Dhahabi's Interest in The Science of The Principles Of Jurisprudence

Abdul Rahman bin Mohamed bin Abdul Rahman Al Dakhil
Master's researcher in the Department of Jurisprudence and its Principles, College of Sharia and Law, University of Hail, Kingdom of Saudi Arabia.
E-mail: abdelrhamanaaldakhel@gmail.com

Abstract :

After reviewing the book "Siyar A'lam Al-Nubala" in particular and other books by Imam Al-Dhahabi, I sought Allah's guidance in extracting the fundamentalist views of Imam Shams Al-Din Al-Dhahabi, and I titled this research (Introduction to Imam Al-Dhahabi and highlighting his fundamentalist side) derived from my thesis to obtain a master's degree, and the title of the thesis is (Imam Al-Dhahabi's fundamentalist views related to the single narration, analogy, and ijtihad, collection and study).

This research aims to translate Imam Al-Dhahabi through: knowing his name, lineage, nickname, birth and upbringing, his sheikhs and students, and his death, as well as knowing Imam Al-Dhahabi's books and their scientific status, and what is related to the fundamentals of them.

In this thesis, I followed the inductive and descriptive approach, and divided it into: two sections and a conclusion that includes the most important results of the research and its recommendations.

Among the most important results of the research: Imam Shams al-Din al-Dhahabi is one of the few unique figures in the march of the sciences of hadith, men, and Islamic history. His scientific works and intellectual trends have demonstrated the breadth of his horizons, knowledge, and memorization, and his superior ability to criticize men and depict history, to the point that al-Dhahabi's statements about those he translated and chronicled were considered by critics and historians who came after him to the utmost degree of consideration. Imam al-Dhahabi is also considered the Sheikh of the hadith scholars and the historian of Islam, and one of the unique figures in the march of the sciences of hadith, men, and Islamic history. Perhaps his book "Seer A'lam al-Nubala" - which is the subject of our research - is the greatest example and evidence of that.

Keywords: Imam, Al-Dhahabi, The Fundamentalist Aspect, Siyar A’lam al-Nubala.

المقدمة

الحمد الله الذي مهد أصول الدين بكتابه المحكم، وشيد معاقد العلم بخطابه وأحكم، وفقَّه في دينه من أراد به خيراً من عباده وفهَّم، وأوقف من شاء على ما شاء من أسرار مراده وألهم؛ فسبحان من حكم فأحكم، وحلَّل وحرَّم، وعرَّف وعلَّم، علَّم بالقلم، علَّم الإنسان ما لم يعلم.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة تهدي إلى الطريق الأقوم، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المخصوص بجوامع الكلِم وبدائع الحِكم، وودائع العلم والحلم والكرم، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه. أما بعد:

فإن علم أصول الفقه من أجلّ العلوم الشرعية قدراً، وأسماها فخراً، وأعلاها شرفًا وذكراً؛ ولذا أعلى الأئمة من شأنه، وأشادوا بمكانته وأهميته، وبينوا حاجة الفقيه الماسة إلى الإلمام به وتعلمه.

وإذا كانت لعلم أصول الفقه تلك المنزلة الرفيعة السامية، فإن له رجالًا وعلماء، تكلموا فيه وحرّروا مباحثه أو وظفوا جملةً من قواعده ومسائله في مدوناتهم، وذكروا بعضَ آرائهم في بعض مباحثه.

ولا يلزم في كون العالم مشهورًا بعلم ألا تكون له براعة أو آراء في علوم أخرى، لاسيما إذا كان ممن رُزق بسعة الاطلاع في علوم الإسلام.

والإمام الذهبي- رحمه الله- من هذا الصنف؛ وإن كان «صبَّ اهتمامَه على

ثلاثة علوم، هي: القراءات، والحديث، والتاريخ، غير أنه ضرب بسهمٍ وافر من علوم أخرى لا بد منها، كالفقه وأصوله»[1].

وبعد النظر في كتاب سير أعلام النبلاء خاصة وغيره من كتب الإمام الذهبي، استخرتُ الله ﷻ في استخراج الآراء الأصولية للإمام شمس الدين الذهبي ، وعنونتُ لهذا البحث بـ(**عناية الإمام الذهبي بعلم أصول الفقه**) المستنبط من رسالتي لنيل درجة الماجستير، وعنوان الرسالة (**آراء الإمام الذهبي الأصولية المتعلقة بخبر الواحد والقياس والاجتهاد جمعًا ودراسةً**).

سبب اختياري لهذا الموضوع:

وقد وقع اختياري على هذا الموضوع لعدة أسباب، منها:

أهميّةُ وكثرةُ ما بُحِث عن الإمام الذهبي في الفقه والحديث، وبقيت الآراء الأصولية في خبر الواحد والقياس والاجتهاد التي تَطرّق إليها الإمامُ الذهبيُّ – رحمه الله تعالى– في ثنايا كتبه، والتي قد تمكن – بفضل الله تعالى – الدّارس من الوقوف على أغلب الآراء الأصوليّة فيها، إن لم تكن كلَّها.

رغبتي الأكيدةُ في الإسهام – ولو بجهد قليل – في إثراء المكتبة الإسلاميّة.

---

(١) ينظر: الحافظ الذهبي، مؤرخ الإسلام، ناقد المحدثين، إمام المعدّلين والمجرّحين، لعبد الستار الشيخ ص: ٩٣، وقد ذكر أن الذهبي له كتب خاصة في بعض المسائل الأصولية، مثل كتاب «مسألة الجتهاد»، وكتاب «مسألة خبر الواحد». ينظر: المرجع السابق ص: ٥١٨. ونسب هذا لسبط ابن حجر في كتابه رونق الألفاظ.

إشكالية البحث:

المتأمل في مناهج العلماء وفنون الطلب يجد أن كثيراً من أهل العلم خاض الكثيرَ من التصنيف والتأليف، والكثير منهم أَبحرَ في كثيرٍ من الفنونِ كالفقه وأصوله، ولكنه لم يفردها ويظهر رأيه بمصنف مستقل، بل أجملها فيما اشتهر عنه كإمامنا الإمام الذهبي.

ما المهارة التي اعتمدها الإمام الذهبي في إيراده لآرائه الأصولية المتعلقة بخبر الواحد والقياس والاجتهاد في كتبه.

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة لتحقيق عدد من الأهداف، منها:

١) بيان جهود وآراء الإمام الذهبي الأصولية.

٢) جمع آراء الإمام الذهبي الأصولية المتعلقة بخبر الواحد والقياس والاجتهاد، من كتبه المختلفة.

٢) دراسة ومقارنة تلك الآراء مع آراء جمهور الأصوليين.

الدراسات السابقة:

وجدتُ مجموعة من الرسائل العلمية الموضوعة على كتب الإمام الذهبي لا سيما كتاب «سير أعلام النبلاء» الذي يُعدُّ من أَمْتعِ كُتبِ التراجم التي يستفيد منها القارئُ والباحثُ، وهو عبارةٌ عن اختصار لكتابه الضخم (تاريخ الإسلام)، وقد تتابعتْ أعمالٌ علمية ودراسات وبحوث أكاديمية على هذا الكتاب، منها:

١ – (**المسائلُ الفقهيةُ المستخرَجةُ من كتاب سير أعلام النبلاء جمعًا وترتيبًا ودراسة**)، وهي عبارة عن رسالة ماجستير مجازة من جامعة النجاح الوطنية في

نابلس فلسطين ٢٠١٤م للطالب محمد جمعة بدوي، والذي قام بها الباحث في استخراج المسائل الفقهية ولم يتناول الجانب الأصولي في بحثه.

٢ – (**ضوابطُ الجرح والتعديل عند الإمام الذهبي من خلال كتاب سير أعلام النبلاء، جمعًا ودراسة**) رسالة ماجستير مجازة من الجامعة الإسلامية في المدينة النبوية، للطالب محمد الثاني عمر بن موسى، بتاريخ٠٩/ ٠١/ ١٤٢٠هـ، والتي تناولت أهمَّ فرع في مصطلح الحديث، وهو الجرح والتعديل، وفي بعض الأحيان استعمال ذلك في أحداث التاريخ، ولكنها بَعُدَتْ تمامًا عن الجانب الأصولي.

٣ – (**الآثارُ الواردةُ عن أئمة السنة في أبواب الاعتقاد من كتاب سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي، جمعًا وتخريجًا ودراسة**) رسالة دكتوراه مُجازَةٌ من الجامعة الإسلامية في المدينة النبوية. للطالب جمال بن أحمد بن بشير بادي. بتاريخ ٢٨/ ١٢/ ١٤١٤هـ، ودَرَسَت الرسالةُ كثيراً من مسائل الاعتقاد من خلال الآثار الواردة، وهي كسابقتها – بَعُدَتْ عن الجانب الأصولي في الكتاب.

٤- (**كَشْفُ الغطاءِ عن أحكام الذهبي في سير أعلام النبلاء على الأحاديث والقصص والأنباء**) تأليف الدكتور يحيى بن يحيى الشِّهْري، نَشْرُ دار أضواء السلف السعودية، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ، وأَظْهرَ الكتابُ اجتهاداتِ الإمامِ الذَّهبيِّ في أحكامه على كثير من الأحاديث والأخبار من حيث القَبُول والرَّدِّ، ولم يتطرق إلى الآراء الأصولية في الكتاب.

٥ – (**مُصَنَّفاتٌ حذَّر منها الإمامُ الذهبيُّ في كتابه سير أعلام النبلاء**) للباحث محمد بن زكريا أبو غازي، نشرتْه مجلة الحكمة العدد ١٥، والمقالُ يُظهِرُ أسماءَ

الكتب التي أَرْشدَ الذهبيُّ إلى مجانبتها، بعيداً عن الدراسة الأصولية للكتاب.

وكما يَتضِحُ من العناوين والتعليقات السابقة فقد حَظِيَ الكتابُ بالعناية من ناحيةِ الحديث النبوي ومُصطلَحِه، ومن الناحية العَقَدِية، فأردتُّ أن أدرسَ هذا الكتاب وغيره من كتب الشيخ لاستخراجُ الآراء الأصوليةِ للإمام الذهبي من كتابه السير وغيره من الكتب، ولم أَجِدْ - في حدود بحثي وسؤالي لمشايخي - دراسةً مستقلةً تناولت آراء الشيخ الأصولية، وقد وجدتُّ مَن تناول المسائل الفقهية في كتاب سير أعلام النبلاء بالبحث والدراسة، فأردتُّ أن أُكْمِلَ الدراساتِ التي تناولت الكتاب من الناحية الأصولية بالإضافة إلى بقية كتب الشيخ رحمه الله، والله المستعان.

منهج البحث:

سوف أسلك في هذا البحث المنهجية التالية:

المنهج الاستقرائي: وذلك باستقصاءِ وتتبّعِ الآراءِ الأصولية من خلال كتب الإمام الذهبي المختلفة[1].

(١) والعمدة في جمع تلك المادة هو «كتاب سير أعلام النبلاء»؛ إذ هو أشهر وأضخم أعمال الإمام الذهبي، بعد «تاريخ الإسلام»، وقد استفاد في تأليفه من كتابه «تاريخ الإسلام»، وغيره من كتبه وأضاف إليه وزاد فيه عن «تاريخ الإسلام»، إضافات وزيادات كثيرة، فجاءت تراجم «السير» أغزر مادة من مثيلاتها في «تاريخ الإسلام»، ثم أضفتُ إلى «السير» سائر مصنفات الإمام الذهبي المطبوعة، مثل: العِبَر في خبر من غبر، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تذكرة الحفاظ، منظومة طبقات الحفاظ، اختصار تاريخ بغداد للخطيب البغدادي، اختصار تاريخ دمشق لابن عساكر، المُغْنِي في الضعفاء، ديوان الضعفاء والمتروكين وخلق من المجهولين وثقات فيهم لين، دول الإسلام، معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار.... إلخ مصنفات في الإمام الذهبي كما سيأتي بيانه في مصنفاته.

المنهج الوصفي: وذلك بعَرْضِ الآراء الأصوليةِ النحو التالي:

١- جَمع المادة العلميةَ المتعلقةَ بكل فصل من فصول الرسالة، من كتاب سير أعلام النبلاء وغيره من كتب الذهبي.

٢- القيام بدراسة هذه الآراء على النمط التالي:

أ - صورت المسألةَ التي أوردها الإمام الذهبي وله فيها رأي، وأحرَّرْ محلَّ النزاع، فيما احتِيجَ منها إلى ذلك.

ب – ذكر رأي الإمامِ الذَّهبيِّ الأصولي بنَصِّه، أو بما جاء بمعنى كلامه.

ج – ذكرت رأيَ مَن وافقه من العلماء، ثم أدلتهم، مُصَدِّراً ذلك بإيراد ما ذَكَره الإمامُ الذهبيُّ من الأدلة إنْ وُجِدتْ، فإن كان رأيُه موافقـًا لرأي الجمهور اكتفيتُ بإيراد أدلتهم مع المناقشة، ثم أذَكَر رأيَ المخالِفِ له مُطْلَقًا ودليلَه ومناقشتَه، وإن كان في المسألة آراءَ أخرى ذكرتُها من غير إيراد لأدلتها غالبـًا، فإن كان رأيُه مخالِفًا لرأي الجمهور، أو قال بكلِّ قولٍ في المسألة عدد من العلماء فإني أرجح حسب علمي ما يظهر لي رجحانه.

وأخيراً: فقد بَذَلْتُ ما أَمْلِكُ من جهدٍ في سبيلِ بيانِ آراءِ الإمامِ الذَّهَبيِّ بجَمْعِ مادةِ هذه الرسالة من كتابه سير أعلام النبلاء، فما كان فيها من صواب فمن الله ﷻ، وأسأله المزيد، وما كان فيها غير ذلك فهو مني من غير قصد، وأسأل -اللهَ تعالى - المغفرة، وأرجو ممن اطَّلَعَ على شيء منه أن يُنبِّهَنِي مشكوراً. وآخرُ دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

خطة البحث:

يشتمل البحث على مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة :

❖المقدمة تحدثت فيها عن أهمية الموضوع وأسباب اختياره ومنهج البحث فيه وخطة الدراسة.

❖أما التمهيد فيشمل التعريف بالإمام الذهبي ، وفيه مطلبان:

- المطلب الأول : التعريف بالإمام الذهبي – رحمه الله
- المطلب الثاني : ترجمةُ الإمامِ الذَّهَبِيِّ، ونتعرف من خلاله على:
  - اسمه ونَسَبُه وكنيته ومولدُه ونشأتُه.
  - شيوخُه وتلاميذُه.
  - وفاته.

❖المبحث الأول: عناية الإمام الذهبي في بيان أهمية علم أصول الفقه .

❖المبحث الثاني: عناية الإمام الذهبي بعلم أصول الفقه من خلال كتبه ومكانتها العلمية، وما يتعلق منها بالأصول.

❖ثم الخاتمة : وفيها أهم النتائج والتوصيات

التمهيد : ترجمةُ الإمامِ الذَّهَبِيِّ[١]

وفيه مطلبان :

المطلب الأول: اسمه ونَسَبُه وكنيته ومولدُه ونشأتُه

اسمه ونسبه:

هو: الشيخ الإمام العلَّامة الحافظ المقرئ المحدِّث، صاحب المصنَّفات، شمسُ الدين أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن عُثمان بن قايْماز ابن الشيخ عبد الله التُركماني الفارقي[٢]، ثم الدِّمَشْقي الشافعي، المعروفُ بالذَّهَبي نسبة إلى صنعة أبيه وعمل

---

(١) تنوَّعت المصادر التي ترجمت للذهبي -رحمه الله- فكانت على أربعة أقسام:
القسم الأول: مصادر ترجَمَ فيها الذهبيُّ لنفْسه، كترجمته لنفْسه في معجم الشيوخ، والمعجم المختص بالمحدِّثين.
القسم الثاني: تراجم مُعاصريه له، كترجمة تلميذه الصَّفَدي له في كتابه الوافي بالوافَيَات.
القسم الثالث: تراجم مَن بعدَه، كترجمة ابن حَجَر له في كتابه الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة.
القسم الرابع: الرسائل العلميَّة المعاصرة التي اهتمَّت بالترجمة للذهبي، ومنها رسالة: الذهبي ومنهجه في كتابه تاريخ الإسلام، للدكتور بشار عواد معروف، وهي رسالة دكتوراه من جامعة بغداد.
ورسالة: منهج الإمام الذهبي في العقيدة وموقفه من المبتدِعة، لسعيد بن عيضة الزهراني، وهي رسالة ماجستير من جامعة الإمام محمَّد بن سعود الإسلاميَّة. ورسالة الإمام الذهبي وجهوده في الدعوة إلى الله تعالى، رسالة ماجستير من جامعة الإمام محمد بن سعود عام ١٤٢٠هـ، ورسالة نقد الإمام الذهبي للمتن في كتابه سير أعلام النبلاء، رسالة ماجستير للطالبة مريم بنت أحمد الخالد، جامعة الملك سعود، عام ١٤٣١هـ، وغيرها الكثير والكثير؛ ولهذا فقد حاوت الاستفادة من مجمَل هذه المصادر، مع الاختصار والإكتفاء بترجمة مختصرة للإمام الذهبي؛ لشهرته، ولوجود رسائل وكتب مطولة في ترجمته كما تقدم.

(٢) الفارقي نسبة إلى مدينة «مَيَّافارِقين» أسقطوا بعض حروفها لكثرتها، وهي مدينة قديمة كانت من أشهر مدن الجزيرة الفراتية. ينظر: معجم البلدان لياقوت الحموي (٥/ ٢٣٥).
تقع «ميافارقين» في شمال شرق ديار بكر، بين دجلة والفرات، فيها آثار إسلامية ومسيحية وفارسية، وهي تعتمد على الزراعة، وبها صناعات محلية يدوية تقليدية، وقد أصبحت بلدة صغيرة اليوم وتغير اسمها ليصبح سلوان في تركيا. ينظر: تعريف بالأماكن الواردة في البداية والنهاية لابن كثير (٢/ ٣٤٦)، موسوعة المدن العربية والإسلامية، ليحيى الشامي، ص (٣٢٤) .

بصنعة الذهب المدقوق؛ ولهذا عُرف بها[1].

كنيته:

أبو عبد الله، وهي كنية غلبت عليه منذ إنجابه لأكبر أبنائه، وسماه بهذا الاسم[2].

مولده ونشأته العلميّة ورحلاته:

وُلِد الذهبي -رحمه الله- في شهر ربيع الآخِر من سنة ثلاث وسبعين وست مائة للهجرة (٦٧٣)[3].

وقد نشأ الذهبيُّ في بيئةٍ محبَّةٍ للعلم، فكان والدُه ممَّن سمِع الصحيحَ وهو في العشرين من عُمره، وهو من شيوخ الذهبي رحمه الله[4]، وكانت (ست الأهل) عمَّته ومُرضعته من العالِمات الفاضلات، وقد روى عنها[5]، وكذلك خاله (علي بن سنجر)[6].

---

(١) ينظر: المعجم المختص بالمحدِّثين، الذهبي (ص: ٩٧)، الوافي بالوفيات، صلاح الدين الصفدي (٢/ ١١٤)، ومعجم الشيوخ، تاج الدين السبكي (ص: ٣٥٢).

(٢) الدرر الكامنة لابن حجر (٢/ ٣٩٤).

(٣) ينظر: المعجم المختص بالمحدِّثين، (ص: ٩٧)، معجم الشيوخ، للسبكي (ص: ٣٥٤).

(٤) معجم الشيوخ الكبير، الذهبي (١/ ٧٥).

(٥) هي: ست الأهل بنت عثمان بن قايماز، ولدت سنة (٦٥٢هـ)، وهي أم الذهبي من الرضاعة، وقد طلبت الحديث، توفيت سنة (٧٢٩هـ). ينظر: معجم الشيوخ الكبير، الذهبي (١/ ٢٨٤).

(٦) هو: علي بن سنجر بن عبد الله الموصلي، ولد سنة (٦٥٨هـ)، وسمع الحديث من عدة من المشايخ، وصفه الذهبي فقال: ذا مروءة وكد على عياله وخوف من الله. ينظر: معجم الشيوخ الكبير، الذهبي (٢/ ٢٧).

ولذا فقد تهيَّأت للذهبي بيئةٌ جعلَتْه يبدأُ طلبَ العلم في سنٍّ صغيرة، وكان أوَّلُ عِلمَين أوْلاهما اهتمامَه عِلْمَي: القراءات والحديث[١].

ولم يقتصِر تحصيلُ الذهبي عليهما، بل تلَقَّى العلومَ في النحو والأدب والتاريخ وغيرها، إلا أن عنايتَه الفائقةَ كانت مُنصَبَّةً على علم الحديث، وكان -رحمه الله- شَغوفًا بالرِّحلة في طَلَبِ العلم؛ لِما يَرْجو من تَحصيله من ورائها من الخير الكثير، إلا أن والدَه كان يمنَعُه من ذلك، محبَّةً له وإشْفاقًا عليه، فكان الذهبيُّ يترُكُ الرِّحلةَ في طلَبِ العلم بِرًّا بأبيه، ولم يسمَحْ له والدُه إلَّا برِحلات يَسيرة بمُدَد قَصيره، ويكون برُفقة مَن يَثِقُ بهم، ثم لَمَّا تُوفِّيَ والدُه، رحَلَ في طلبِ العلم للشام ومصرَ، وكذلك استفاد من رِحلته لحجِّ بيت الله الحرام، فسمع بمكة، وعرفة، ومنى، والمدينة من مجموعة من الشيوخ[٢].

هذا وقد سمع الذهبي ما يَتعذَّرُ عدُّه من الكتب، وأَخذ عنه الصغارُ والكبارُ، حتى صدق عليه قول تاج الدين السبكي[٣] (ت ٧٧١هـ): "وسمع منه الجمعُ الكثير، وما

(١) ينظر: الذهبي ومنهجه في تاريخ الإسلام، بشار عواد معروف (ص: ٨٣-٨٥).

(٢) ينظر: الذهبي ومنهجه في كتابه تاريخ الإسلام، (ص: ٨٧-٩٨).

(٣) هو: تاج الدين عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي الشافعي، تتلمذ على أبيه تقي الدين السبكي، ولزم الذهبي، وله مشاركة في التاريخ والأصول والفقه والأدب وغير ذلك. له مصنفات مفيدة منها: طبقات الشافعية الكبرى، رفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب، الأشباه والنظائر وغيرها. ينظر: الدرر الكامنة لابن حجر (٢ / ٤٢٥).

زال يخدم هذه الفنون إلى أن رسخت فيه قدمه، وتعب الليل والنهار، وما تعب لسانه وقلمه، وضربت باسمه الأمثال، وسار اسمه مسير الشمس إلا أنه لا يتقلص إذا نزل المطر، ولا يدبر إذا أقبلت الليال. وأقام بدمشق يُرحل إليه من سائر البلاد، وتناديه السؤالات من كل نادٍ، وهو بين أكنافها كنف لأهليها، وشرف تفتخر وتزهى به الدنيا وما فيها، طوراً تراها ضاحكة عن تبسم أزهارها، وقهقهة غدرانها، وتارة تلبس ثوب الوقار والفخار بما اشتملت عليه من إمامها المعدود في سكانها"[1].

المطلب الثاني: شيوخُه وتلاميذُه

شيوخ الإمام الذهبي:

كان للذهبي -رحمه الله- المئاتُ من الشيوخ الأفاضل الذين درَسَ وتلَقَّى تعليمَه على أيديهم، وقد أَلَّفَ كتابه: (معجم الشيوخ)، وذكَر من تراجم شيوخه ما يقارب الألف وثلاثمائة ترجمة.

وقد ذكَر في مقدمة كتابه (معجم الشيوخ): "أما بعدُ، فهذا معجم العبد المسكين محمَّد بن أحمد بن عثمان بن قايْماز ابن الشيخ عبد الله التُّرْكُماني الفارقي ثم الدِّمَشْقي، ابن الذهبي، يشتمِل على ذِكر مَن لَقِيتُه، أو كتَبَ إليَّ بالإجازة في الصِّغَر، وعلى كثير من المُجيزين لي في الكِبَر، ولم أستوعِبْهم، وربما أجاز لي الرجلُ ولم أشعُرْ به، بخلاف مَن سَمِعْتُه منه؛ فإنَّني أعرِفُه، والله المسؤول منه العون والتوفيق،

(١) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٩/ ١٠٣).

ولا قوَّةَ إلا بالله"[١].

وممَّن برز من شيوخ الذهبي -رحمه الله-[٢]:

أحمد بن هبة الله بن عساكر (ت:٦٩٩هـ)[٣].

محمد بن علي بن دقيق العيد القشيري (ت: ٧٠٢هـ) [٤].

عبد المؤمن بن محمد شرف الدين الدمياطي (ت: ٧٠٥هـ)[٥].

---

(١) ينظر: معجم الشيوخ الكبير، الذهبي (١/ ٥٦)، و(٢/ ١١٥)، و(٢/ ٣٨٩)، وينظر: الذهبي ومنهجه في كتابه تاريخ الإسلام، (ص: ٩٩).

(٢) حتى لا يطول المقام فسوف اقتصر على ذكر أشهر شيوخ الذهبي، مرتبين حسب سنة الوفاة.

(٣) هو: أحمد بن هبة الله بن أحمد بن محمد بن الحسن بن هبة الله بن ابن عساكر، شَرَف الدِّين، أبو الفَضْل ولد سنة (٦١٤هـ)، وصفه الذهبي بقوله: شيخنا، المُسْنِد الجليل، سمع الكثير وأسمعه، وانتهى إليه عُلُو الإسناد بدمشق، وكان شيخًا مهيبًا، فِيهِ خَيّر وإيثار وعدالة، توفي سنة (٦٩٩ه). ينظر: تاريخ الإسلام (١٥/ ٨٩٧).

(٤) هو: تقي الدين أبو الفتح محمد بن علي بن وهب المنفلوطي المالكي الشافعي، الشهير بابن دقيق العيد، حقق المذهبين، ولي قضاء الديار المصرية والتدريس، وله كتب نافعة مثل: إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، والإلمام في أحاديث وغيرهما. توفي عام ٧٠٢هـ. ينظر: الديباج المذهب ص (٤١١)، طبقات الشافعية الكبرى لابن السبكي (٦/ ٢).

(٥) هو: عبد المؤمن بن خلف بن أبي الحسن بن شرف التُّوني الدمياطي الشافعي، الحافظ شرف الدين، من أهل تونه: قرية من عمل دمياط. ولد سنة ٦١٣ هـ. قال الذهبي: ومعجم شيوخه يبلغون ألفًا وثلاثمائة إنسان. من مؤلفاته: قبائل الخزرج وقبائل الأوس، والعقد المثمن في مَن اسمه عبد المؤمن، والسيرة النبوية، وغيرها. توفي سنة ٧٠٥ هـ. ينظر: تذكرة الحفاظ (٤/ ١٤٧٧)، طبقات الشافعية الكبرى (١٠/ ١٠٢).

تقي الدين أبو العبَّاس أحمد ابن تيميَّة (ت: ٧٢٨هـ)[١].

عَلَم الدين أبو محمَّد القاسم البِرْزالي (ت: ٧٣٩هـ)[٢].

جمال الدين أبو الحجَّاج يوسف المِزِّي (ت: ٧٤٢هـ)[٣].

فقد اتصلَ بهِم الذهبي اتصالًا وَثيقًا، وترافَقَ معَهم طيلةَ مراحل حياتهم، وكان الذهبي أصغرَهم سنًّا، بينما كان المِزِّي أكبرَهم، وكان بعضُهم يقرأُ على بعض، فكانوا شيوخًا وأقْرانًا في الوقت ذاته[٤].

---

(١) هو: أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني الدمشقي الحنبلي، شيخ الإسلام أبو العباس تقي الدين كان واسع العلم محيطًا بالفنون والمعارف النقلية والعقلية، صالحًا تقيًا مجاهدًا، توفي سنة ٧٢٨ هـ. من مؤلفاته: مجموع الفتاوى، ومنهاج السنة النبوية، ودرء تعارض العقل والنقل، ورفع الملام عن الأئمة الأعلام.

ينظر: ذيل طبقات الحنابلة، لابن رجب (٢/ ٣٨٧)، البدر الطالع للسخاوي (١/ ٦٣).

(٢) هو: القاسم بن محمد بن يوسف البِرْزالي، علم الدين أبو محمد الإشبيلي. ولد سنة ٦٦٥ هـ. بلغ عدد مشايخه بالسماع ألفي نفس، وبالإجازة أكثر من ألف. كان وافر العقل جدًا بحيث إنه كان يصحب المتعاديَيْن فلا يكتم واحدٌ منهما سره لوثوقه به. مات ذاهبًا إلى مكة محرمًا للحج سنة ٧٣٩ هـ، ودفن بخليص. ينظر: طبقات الشافعية الكبرى، للسبكي (١٠/ ٣٨١)، الدرر الكامنة لابن حجر (٣/ ٢٣٧).

(٣) هو: يوسف بن الزكي عبد الرحمن بن يوسف الكَلْبيّ القُضَاعِيّ الدِّمشقي، جمال الدين أبو الحجاج. ولد سنة ٦٥٤ هـ. واحد عصره، وشيخ زمانه، كَانَ أحفظ أهل زَمَانه، وَكَانَت الرحلة إِلَيْهِ لروايته، وَكَانَ إِمَامًا فِي اللُّغَة والتصريف ديِّنا، خَيِّراً صنف كتاب "تهذيب الكمال". توفي – رحمه الله – شهيدًا بالطاعون سنة ٧٤٢ هـ. ينظر: طبقات الشافعية الكبرى، للسبكي (١٠/ ٣٩٥)، الدرر الكامنة لابن حجر (٤/ ٤٥٧).

(٤) ينظر: معجم الشيوخ الكبير، الذهبي (١/ ٥٦)، و(٢/ ١١٥)، و(٢/ ٣٨٩)، وينظر: الذهبي ومنهجه في كتابه تاريخ الإسلام، (ص: ٩٩).

تلاميذ الإمام الذهبي:

وأما تلاميذُ الذهبي فكُثُر، حتى قال عنهم الحُسيني[١] أحدُ تلاميذه: "وحمَلَ عنه الكتابَ والسُّنةَ خلائقُ"[٢].

وقال في وَصْف بَثِّهم لعلم الذهبي: "ومصنَّفاته ومختَصَراته وتَخْريجاته تُقارب المائة، وقد سار بجُملة منها الرُّكْبان في أقْطار البُلدان"[٣].

ومن أشهر تلاميذ الذهبي[٤]:

تاج الدين السُّبكي (ت: ٧٧١هـ).

الحافظ ابن كثير (ت: ٧٧٤هـ)[٥].

---

(١) هو: محمد بن علي بن الحسن بن حمزة، شمس الدين الحسيني، المؤرخ، المحدث، الحافظ، الفقيه. ولد بدمشق سنة ٧١٥ هـ. ولما سئل العراقي عن أربعة تعاصروا أيهم أحفظ: مغلطاي، وابن كثير، وابن رافع، والحسيني؟ قال: أعرفهم بالشيوخ المعاصرين وبالتخريج الحسيني، وهو أدونهم في الحفظ. من مصنفاته: "التذكرة في رجال العشرة"، "ذيل تذكرة الحفاظ"، "مجمع الأحباب" اختصار الحلية. توفي سنة ٧٦٥ هـ. ينظر: الدرر الكامنة (٤/ ٦١)، شذرات الذهب (٦/ ٢٠٥).

(٢) ذيل تذكرة الحفاظ، الحسيني (ص: ٣٦).

(٣) المرجع السابق (ص: ٣٥-٣٦).

(٤) وقد اكتفيت بذكر أشهر تلاميذه وأكثرهم قربًا منه ولزومًا له ورتبتهم على سنة الوفاة؛ إذ من الصعب حصر جميع من حمل عنه العلم.

(٥) هو: عماد الدين، أبو الفداء، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، المحدث الحافظ المؤرخ، ولد بالشام سنة (٧٠١ هـ)، ورحل في طلب العلم، وتناقل الناس تصانيفه في حياته، توفي بدمشق سنة (٧٧٤ هـ). من مؤلفاته: "البداية والنهاية"، و"شرح صحيح البخاري" ولم يكمله، و"طبقات الفقهاء الشافعيين"، "تفسير القرآن الكريم"، وغيرها. ينظر: الدرر الكامنة (١/ ٤٤٥ - ٤٤٦)، شذرات الذهب، لابن العماد (٦/ ٢٣١).

تقي الدين بن رافع السَّلامي (ت ٧٧٤هـ)[١].

صلاح الدين الصَّفَدي (ت: ٧٦٤هـ)[٢].

وفاته:

توفيَ الذهبي -رحمه الله- في ليلة الاثنين في الثالث من ذي القَعْدة، سنة ثمانٍ وأربعين وسبع مائة (٧٤٨هـ) بدِمَشْق، وصُلِّيَ عليه عَقيبَ الظُّهْر من يوم الاثنين بجامع دِمَشْق، ودُفِن بمقابر باب الصغير، وكان قد أَضَرَّ قبلَ موته بسنوات، ولا زال يَنقُصُ بصَرُه شيئًا فشيئًا إلى أن تكامَلَ عدمُه[٣].

(١) هو: محمد بن رافع بن أبي محمد هجرس السلامي تقي الدين أبو المعالي، الحوراني الأصل، المصري المولد والمنشأ ثم الدمشقي الشافعي. ولد سنة ٧٠٤ هـ. كان محدثًا متقنًا، معجم شيوخه يشتمل على أكثر من ألف شيخ، وكان تقي الدين السبكي يرجِّحه في معرفة اصطلاح أهل الحديث على ابن كثير. من مصنفاته: معجم شيوخه، ذيل على تاريخ بغداد لابن النجار. توفي سنة ٧٧٤ هـ بدمشق. ينظر: الدرر الكامنة (٣/ ٤٣٩)، شذرات الذهب (٦/ ٢٣٤).

(٢) هو: خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي، صلاح الدين. أديب، مؤرخ، كثير التصانيف المتعة. ولد بصفد بفلسطين سنة ٦٩٦ هـ. سمع الكثير، من مؤلفاته: شرح لامية العجم، وجر الذيل في وصف الخيل، وغيرهما. توفي رحمه الله سنة ٧٦٤ هـ. ينظر: المعجم المختص للذهبي ص (٩١)، الدرر الكامنة (٢/ ٨٧)، شذرات الذهب، (٦/ ٢٠٠).

(٣) ينظر: معجم الشيوخ، السبكي (ص: ٣٥٤)، والدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ابن حجر العسقلاني (٥/ ٦٨).

المبحث الأول : عناية الإمام الذهبي في بيان أهمية علم أصول الفقه

يقول الإمام الذهبي (رحمه الله) في كتابه زغل العلم عن أصول الفقه " الأصوليون: أصول الفقه لا حاجة لك به يا مقلد، ويا من يزعم أن الاجتهاد قد انقطع، وما بقي مجتهد، ولا فائدة في أصول الفقه إلا أن يصير محصله مجتهداً به، فإذا عرفه ولم يفك تقليد إمامه لم يصنع شيئا، بل أتعب نفسه وركب على نفسه الحجة في مسائل، وإن كان يقرأ لتحصيل الوظائف و ليقال، فهذا من الوبال، وهو ضرب من الخبال "[1].

كما نقل الامام الذهبي عن ابن حزم قوله: «أنا أتبع الحق، وأجتهد، ولا أتقيد بمذهب» ثم تعقبه فقال: «نعم من بلغ رتبة الاجتهاد، وشهد له بذلك عدة من الأئمة، لم يسغ له أن يقلد، كما أن الفقيه المبتدئ والعامي الذي يحفظ القرآن أو كثيرا منه، لا يسوغ له الاجتهاد أبدا، فكيف يجتهد، وما الذي يقول؟ وعلام يبني؟ وكيف يطير ولما يريش؟»[2].

كما ذكر رحمه الله في صفات العالم المجتهد رحمه الله تعالى في سير أعلام النبلاء (الفقيه المنتهي اليقظ الفهم المحدث، الذي قد حفظ مختصرا في الفروع، وكتاباً في قواعد الأصول، وقرأ النحو، وشارك في الفضائل مع حفظه لكتاب الله

(١) ينظر: زغل العلم عن أصول الفقه،الذهبي(ص٤١).

(٢) ينظر: سير أعلام النبلاء ، الذهبي(١٨/ ١٩١).

وتشاغله بتفسيره وقوةَ مناظرته، فهذه رتبة من بلغ الاجتهاد المقيد، وتأهل للنظر في دلائل الأئمة، فمتى وضح له الحق في مسألة، وثبت فيها النص، وعمل بها أحد الأئمة الأعلام كأبي حنيفةَ مثلا، أو كمالك، أو الثوري، أو الأوزاعي، أو الشافعي، وأبي عبيد، وأحمد، وإسحاق، فليتبع فيها الحق ولا يسلك الرخص، وليتورع، ولا يسعه فيها بعدُ قيام الحجة عليه تقليد)[1].

(١) ينظر: سير أعلام النبلاء ، الذهبي(١٣/ ٣٧٧).

المبحث الثاني : عناية الإمام الذهبي بعلم أصول الفقه من خلال كتبه ومكانتها العلمية، وما يتعلق منها بالأصول

كتب الإمام الذهبي ومكانتها العلمية:

بدأ النشاط العلمي للذهبي يتصاعَد في أوائل القرن الثامن الهجري؛ حيث بدأ باختصار أمَّهات الكتُب في التاريخ والحديث، ثم عمَد إلى تأليف كتابه (تاريخ الإسلام)، وخلال ذلك بدأ يتوَلَّى بعضَ المناصب، فعُيِّن خَطيبًا في أحد المساجد، ثم وكيلًا لبيت المال، وشيخًا لدار الحديث، وقد تنقَّلَ بينَ كُبْرَيات دُور الحديث في دِمَشْق في أيامه[1].

وقد ترك الإمام الذهبي إنتاجًا غزيرًا من المؤلفات بلغ أكثر من مائتي كتاب، شملت كثيرًا من ميادين الثقافة الإسلامية، فتناولت القراءات والحديث ومصطلحه، والفقه وأصوله والعقائد والرقائق، غير أن معظم مؤلفاته في علوم التاريخ وفروعه، ما بين مُطَوَّلٍ ومختصَر ومعاجمَ وسِيَرٍ، ومن أهم مؤلفات الذهبي[2]:

---

(١) ينظر: الذهبي ومنهجه في كتابه تاريخ الإسلام، (ص: ١٠٦-١١٠).

(٢) ينظر: مقدمة سير أعلام النبلاء (ص: ٧٥-٩٠)، للدكتور: بشار عواد معروف فقد أوصل مؤلفات الذهبي إلى إلى مائتين وخمسة عشر مصنَّفًا، ورسالة جهود الإمام الذهبي في الدعوة إلى الله، رسالة ماجستير للباحثة: راضية بنت حافظ تركستاني، ص (١٢٩-١٦٨) فقد جعلت مبحثًا خاصة بجهود الإمام الذهبي في التأليف، وذكرت له ما يقارب من (١٧٢) مُؤلفًا، وقسمتها إلى (١١) قسمًا، منها: مؤلفات في القراءات، مؤلفات في الحديث، مؤلفات في مصطلح الحديث، في العقائد، في الفقه، في التراجم والتاريخ،..... إلى غير ذلك من التقسمات، وسوف اقتصر على ذكر أشهر مصنفاته، مع تعريفٍ مختصرٍ بكل منها.

تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير: وهو كتاب كبير الحجم عظيم النفع لم يؤلف غيره في بابه مثله، تناول فيه الذهبي الحوادث والسير بدءًا من السنة الأولى للهجرة حتى سنة (٧٠٠هـ) [١] .

دول الإسلام: وهو كتاب يتناول دول الإسلام، استقى الذهبي مادته من كتابه: «تاريخ الإسلام»، وأرخ فيه حتى سنة (٧٠٠هـ)[٢] .

سير أعلام النبلاء، وهو أشهر كتب الإمام الذهبي، وقد ألَّفه بعد تاريخ الإسلام، وفيه قسم الإمام الذهبي نبلاء الإسلام إلى خمس وثلاثين طبقة، وجعل المجلد الأول والثانية للسيرة النبوية وسير الخلفاء الراشدين، ثم العشرة المبشرين بالجنة، ثم كبار الصحابة، ثم التابعين، وهكذا، وويعد هذا الكتاب موسوعة في الرجال، إذ ترجم فيه الذهبي لعدد كبير من العلماء في شتى العصور والمجالات العلمية وفي مختلف الأقطار[٣].

العِبَر في خبر من غبر: وقد اعتمد فيه الذهبي على كتابه: «تاريخ الإسلام»، بعد أن أضاف إليه بعض الإضافات من الحوادث والوفيات التي لم يوردها في «تاريخ الإسلام» [٤].

---

(١) مطبوع بتحقيق: د. بشار عواد معروف، وبتحقيق: عمر عبد السلام التدمري.

(٢) الكتاب مطبوع عدة طبعات، منها: طبعة بتحقيق فهيم محمد شلتوت، ومحمد مصطفة إبراهيم، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٣٩٤هـ.

(٣) والكتاب مطبوع، وله أكثر من تحقيق، منها طبعة مؤسسة الرسالة وتقع في (٢٥) مجلدًا.

(٤) والكتاب مطبوع، بتحقيق: فؤاد سيد، وصلاح المنجد، ط. الكويت، وطبعته دار الكتب العلمية، بتحقيق: أبو هاجر محمد السعيد زغلول ١٤٠٥هـ.

العلو للعلي الغفار في صحيح الأخبار وسقيمها: وهو كتاب يطبق فيه الذهبي منهج السلف في إثبات العقائد مثل: وجود الله وصفاته، وتنزيه الله عن مشابهة الحوادث، واستوائه على العرش.[١]

ميزان الاعتدال في نقد الرجال: وصفه الذهبي نفسه في المقدمة بقوله: «هذا كتاب جليل مبسوط في إيضاح نقلة العلم وحملة الآثار ألفته بعد المغني، وطولت العبارة، وفيه أسماء عدة من الرواة زائدة على من في المغني»، وقد رتبه الذهبي على حروف المعجم، ويضم الكتاب عشرة طوائف من الرجال [٢].

تذكرة الحفاظ: وهو كتاب في طبقات الحفاظ، جعلهم الذهبي فيه (٢١) طبقة مبتدئًا بالصحابة، وهم الطبقة الأولى، ثم التابعين، وهكذا وانتهى فيه بترجمة شيخه المزي، ويبلغ عدد التراجم فيه (١١٧٦) ترجمة [٣].

ديوان الضعفاء والمتروكين: وفيه ترجم الذهبي للوضاعين والكذابين والضعفاء والكثيري الوهم، بالإضافة إلى عدد من المجاهيل [٤].

الموقظة في علم مصطلح الحديث: وهي رسالة في علم مصطلح الحديث[٥].

---

(١) والكتاب مطبوع، وله عدة طبعات، منها: طبعة مصر ١٣٢٢هـ.

(٢) والكتاب مطبوع، أكثر من طبعة، منها بتحقيق: علي محمد البجاوي، دار المعرفة، ١٩٦٣هـ.

(٣) والكتاب مطبوع أكثر من طبعة، منها: طبعة حيدر آباد ١٩٥٥م.

(٤) والكتاب مطبوع، بتحقيق: حماد بن محمد الأنصاري، مكتبة النهضة الحديثة، مكة، ١٩٦٧م.

(٥) والكتاب مطبوع أكثر من طبعة، منها: بتحقيق: عبدالفتاح أبو غدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية، بحلب، ١٤١٢هـ، وبتحقيق: أحمد شهاب حامد، دار ركائز، الكويت، ١٤٣٩هـ.

المُغْنِي في الضعفاء: وهو كتاب ترجم فيه الذهبي للكذابين والضعفاء والكثيري الوهم، والذين يغلب عليهم اللين، وأورد فيه أقوال أئمة الجرح والتعديل في شأنهم[1].

التلويحات في علم القراءات: لم يذكر للذهبي في علم القراءات إلا هذا الكتاب[2].

الكبائر: وهو كتاب يبين فيه الذهبي كبائر الذنوب والمعاصي التي ينبغي على المسلم أن يجتنبها، ويستشهد على ذلك بالآيات الأحاديث النبوية[3].

الرسالة الذهبية إلى ابن تيمية: وهي رسالة تبين عقيدة الإمام الذهبي[4].

الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة: صنفه الذهبي من تهذيب الكمال للمزي، واقتصر فيه على من له رواية في الكتب الستة، أي الصحيحين، والسنن

---

(١) والكتاب مطبوع، طبعة ار المعارف. بحلب ١٩٧١م.

(٢) فهو في عداد المفقود، وقد ذكره سبط ابن حجر في رونق الألفاظ نقلا عن كتاب الذهبي ومنهجه في كتابه تاريخ الإسلام، ص ١٤٠، وذكره ابن العماد في شذرات الذهب (٦/ ١٥٦).

(٣) والكتاب مطبوع أكثر من طبعة، ويحسن التنبيه إلى أن كتاب الكبائر للإمام الذهبي توجد له طبعتان:
الأولى: وهي الأكثر تداولا ، والمليئة بالأحاديث الضعيفة ، والقصص الواهية ، وقد ذكرت هذه القصة فيه ، وهذه الطبعة مشكوك في نسبتها للإمام الذهبي رحمه الله، وقد جزم عدد من الباحثين المعاصرين ببطلان هذه النسبة ، وأن النسخة الصغرى، التي طبعت مؤخرا: هي حقيقة كتاب الكبائر، للذهبي.
الثانية: وهي الطبعة الصحيحة التي قام بتحقيقها محي الدين مستو ، وقام بتحقيقها أيضا مشهور حسن سلمان ، وهذه الطبعة خالية من الأحاديث الضعيفة ، والقصص والحكايات الواهية.

(٤) وهي مطبوعة بمطبعة التوفيق دمشق، ١٣٤٧هـ.

الأربعة[١].

معجم الشيوخ الكبير: وقد اشتمل على شيوخه بالسماع والإجازة إلا أنه لم يستوعبهم وخاصة شيوخهم بالإجازة، وقد رتبه على حروف المعجم، ويتكلم فيه على الأحاديث ويخرجها، ويورد الكتب والأجزاء التي سمعها من شيوخه[٢].

معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار: وهو كتاب يعنى بذكر طبقات القراء، وقد قسمه الذهبي إلى سبعة عشرة طبقة حسب اللقب، مبتدئًا بالصحابة الذين عرضوا القرآن على النبي ﷺ وإنتهاءً بعصر الذهبي [٣].

حق الجار: وفيه جمع الذهبي الأحاديث التي توصي بالجار، وتوضح بعض حقوقه الفقهية[٤].

بيان زغل[٥] **العلم والطلب**: وفيه تناول الذهبي العلوم المعروفة في عصره مثل:

---

(١) والكتاب مطبوع، بتحقيق: محمد عوامة أحمد محمد نمر الخطيب، دار القبلة للثقافة الإسلامية – مؤسسة علوم القرآن، ١٤١٣هـ.

(٢) والكتاب مطبوع أكثر من طبعة، منها: بتحقيق: د. محمد الحبيب الهيلة، الناشر: مكتبة الصديق، الطائف، ١٤٠٨هـ.

(٣) والكتاب مطبوع أكثر من طبعة، منها: طبعة دار الكتب العلمية، وطبعة دار الكتب الحديثة بتحقيق: سيد جاد الحق، وطبع في مؤسسة الرسالة بتحقيق: بشار عواد وشعيب الأرناؤوط.

(٤) والكتاب مطبوع بتحقيق: هشام إسماعيل السقا، دار عالم الكتب، ١٤٠٥هـ.

(٥) الزغل: الشئ المغشوش، تقول هذا خال من الزغل، أي: خال من العيب، ينظر: المعجم الوسيط (١/ ٣٩٥). ويتضح من عنوان الرسالة مقصود الحافظ من تأليفها. فقد أراد الذهبي – رحمه الله– أن يجلي في رسالته ماهو دخيل على العلم.

القراءة والتجويد والحديث والفقه والنحو اللغة والتفسير وأصول الفقه، ويُبين ما دخلها من الزغل والدخن، كذا استعرض بعض النقص الحاصل لبعض من تخصص في بعض هذه العلوم، وابتدأ بالقراء وبَيَّن أن في بعضهم تنطع زائد وغفل عن تدبر القرآن والاستعاضة عنه بتحرير مخارج الحروف....، ثم ثنى بالمحدثين ثم بالفقهاء... وهكذا إلى آخر الرسالة[1].

وبعد هذا العرض السريع لبعض وأهم مؤلفات الإمام الذهبي يمكن القول بأن الذهبي كان غزيز التأليف، متعدد الاتجاهات في تأليفه، مع جودة وتحقيق وضبط، وحسن استنباط وجودة انتقاء، وسهولة مأخذ؛ ولهذا أثنى عليه العلماء ثناءً كثيرًا، شهدوا بذلك على فضله وإمامته لا سيما في علم الحديث والتاريخ والرجال.

ولهذا قال الشوكاني[2] وهو يصف مؤلفات الذهبي: «وَجَمِيع مصنفاته مَقْبُولَة مَرْغُوب فِيهَا، رَحل النَّاس لأَجلهَا وأخذوها عَنهُ وتداولوها وقرأوها وكتبوها فِي حَيَاته وطارت فِي جَمِيع بقاع الأَرْض، وَله فِيهَا تعبيرات رائقة وألفاظ رشيقة غَالِبًا،

(١) والكتاب مطبوع بتحقيق: محمد ناصر العجمي ، مكتبة الصحوة الإسلامية، وبتحقيق: محمد بن عبد الله أحمد (أبو الفضل القونوي) دار المأمون ومكتبة الرشد، وهي طبعة جيدة محققة على خمس نسخ خطية منها نسخة الحافظ العلائي.

(٢) هو: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الصنعاني، المعروف بالشوكاني، من الأئمة المجتهدين المحققين، صاحب التصانيف الكثيرة الشهيرة، منها: فتح القدير في التفسير، نيل الأوطار، السيل الجرار، القول المفيد في حكم التقليد وغيرها توفي سنة (١٢٥٠ هـ). ينظر: البدر الطالع (٢/ ٢١٤)، الأعلام للزركلي (٧/ ١٩٠)، معجم المؤلفين (١١/ ٥٣).

لم يسْلك مسلكه فِيهَا أهل عصره وَلَا من قبلهم وَلَا من بعدهمْ، وَبِالْجُمْلَةِ فَالنَّاس فِي التَّارِيخ من أهل عصره فَمن بعدهمْ عِيَال عَلَيْهِ، وَلم يجمع أحد فِي هَذَا الْفَنِّ كجمعه وَلَا حَرَّره كتحريره [١].

وجاء في «الشهادة الزكية في ثناء الأئمة على ابن تيمية»: "الشَّيْخ الإِمَام الْحَافِظ الْهمام مُفِيد الشَّام ومؤرخ الْإِسْلَام ناقد الْمُحدثين وَإِمَام المعدلين والمجرِّحين إِمَام أهل التَّعْدِيل وَالْجرْح وَالْمُعْتَمد عَلَيْهِ فِي الْمَدْح والقدح..، كَانَ آيَة فِي نقد الرِّجَال، عُمْدَة فِي الْجرْح وَالتَّعْدِيل، عَالما بالتفريع والتأصيل، إِمَامًا فِي الْقرَاءَات، فَقِيها فِي النظريات، لَهُ دربة بمذاهب الْأَئِمَّة، وأرباب المقالات، قَائِما بَين الْخَلف بنشر السُّنة وَمذهب السَّلف" [٢].

عناية الإمام الذهبي بعلم الأصول ومؤلفاته الأصولية:

مما ألف فيه الإمام الذهبي «علم أصول الفقه»، وقد ذكر مترجموه أن له كتابين في الأصول وهما:

- مسألة الاجتهاد.

---

(١) البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع: للشوكاني، (٢/ ١١١). وقد قال الذهبي عن مصنفاته في المعجم المختص بالمحدِّثين، الذهبي (ص: ٩٧): « وجمع تواليف، يُقال مُفيدة، والجماعة يَتفضَّلون ويُثْنون عليه، وهو أخبَرُ بنفْسِه في العِلم، واللهُ المستعانُ، ولا قوَّةَ إلا به، وإذا سَلِمَ لي إيماني فيا فَوْزي» مما يدل على تواضعه.

(٢) الشهادة الزكية في ثناء الأئمة على ابن تيمية: مرعي الكَرمى، ص ٣٨.

- مسألة خبر الواحد[1].

وجاء أيضًا في ثنايا كتاب «زغل العلم» ما يدل على عنايته بـ «علم أصول الفقه»، وأنه آلة الاجتهاد، وأنه ينبغي أن يطلب به وجه الله، وأما إذا كانت قراءته لتحصيل الوظائف أو غيرها من أمور الدنيا فهو من الوبال[2].

وعناية الإمام الذهبي بالمسائل الأصولية تظهر من خلال استعراض وجرد مؤلفات المختلفة؛ وهذا يرجع – والله أعلم – لما تميَّز به الذهبي –رحمه الله– مع سَعة المعرفة، وغَزارة الاطِّلاع، وكَثْرة الرِّحلات العلميَّة، وتَعَدُّد الشيوخ الذين الْتَقى بهم، وانتَفَع بما عندَهم، بالإضافة لما اشتغَلَ به من التدريس والتأليف، وكان لكل هذا التنوُّع الأثرُ الكبيرُ على تنوُّع تنوع مؤلفات وتعدد فنونه، ومنها الأصول؛ وهذا ادعى لجمع تلك المسائل والآراء ودراستها.

ومما وقف عليه الباحث من آراء للذهبي (خبر الواحد، والقياس، والاجتهاد):

مفهوم خبر الواحد :

قال الإمام الذهبي في «تذكرة الحفاظ»: «ففي هذا دليل على أن الخبر إذا رواه ثقتان كان أقوى وأرجح مما انفرد به واحد، وفي ذلك حض على تكثير طرق

(١) ينظر: مقدمة سير أعلام النبلاء (ص: ٧٧)، الحافظ الذهبي، مؤرخ الإسلام، ناقد المحدثين، إمام المعدّلين والمجرّحين، لعبد الستار الشيخ ص: (٥١٨)، ونسب هذا لسبط ابن حجر في كتابه رونق الألفاظ. وهي في عداد المفقود، والله أعلم.

(٢) ينظر: زغل العلم ص (٤١).

الحديث لكي يرتقي عن درجة الظن إلى درجة العلم، إذ الواحد يجوز عليه النسيان والوهم، ولا يكاد يجوز ذلك على ثقتين لم يخالفهما أحد»[١].

الأخذ بخبر الواحد في العقائد :

الأخذ بخبر الواحد في العقائد فعلى نجده يقول في أثناء حديثه عن القاضي عياض[٢]: " تواليفه نفيسة، وأجلها وأشرفها كتاب (الشفا) لولا ما قد حشاه بالأحاديث المفتعلة، عمل إمام لا نقد له في فن الحديث ولا ذوق، والله يثيبه على حسن قصده، وينفع بـ (شفائه) وقد فعل، وكذا فيه من التأويلات البعيدة ألوان، ونبينا – صلوات الله عليه وسلامه – غني بمدحة التنزيل عن الأحاديث، وبما تواتر من الأخبار عن الآحاد، وبالآحاد النظيفة الأسانيد عن الواهيات، فلماذا يا قوم نتشبع بالموضوعات؟ فيتطرق إلينا مقال ذوي الغل والحسد، ولكن من لا يعلم معذور، فعليك يا أخي بكتاب (دلائل النبوة) للبيهقي، فإنه شفاء لما في الصدور

(١) تذكرة الحفاظ ١/ ١١.

(٢) هو: أبو الفضل عِيَاض بن موسى بن عِيَاض اليَحْصُبي – نسبة إلى يَحْصُب بتثليث الصاد، قبيلة من حِمْيْر – السَّبْتي – نسبةً إلى مدينة سَبْتة بالمغرب، المالكي. كان إمام أهل الحديث في وقته، عالمًا بالنحو وكلام العرب والتفسير والأصول والفقه. أخذ عن المازري، وابن رشد (الجدّ) ، وابن العربي. ولي قضاء سبتة ثم غرناطة. له تصانيف بديعة منها: إكمال المُعْلم بفوائد مسلم، الشفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ، ترتيب المدارك وغيرها. توفي عام ٥٤٤ هـ. ينظر: الديباج المذهب ص ٢٧٠، سير أعلام النبلاء ٢٠/ ٢١٢.

وهدى ونور"[1].

وسمى الإمام الذهبي من ترك خبر الواحد «مبتدع».

قال في سير أعلام النبلاء: "وإذا رأيت المتكلم المبتدع يقول: دعنا من الكتاب والأحاديث الآحاد وهات العقل، فاعلم أنه أبو جهل"[2].

حجية المراسيل ورأي الإمام الذهبي فيها :

يمكن معرفة رأي الإمام الذهبي في مراسيل الصحابة من خلال قوله: « تدليس الصحابة كثير، ولا عيب فيه، فإن تدليسهم عن صاحب أكبر منهم، والصحابة كلهم عدول»[3] .

رأيه في مراسيل غير الصحابة رضي الله عنهم :

الذهبي في مراسيل غير الصحابة ذهب إلى قول الجمهور أيضًا، وهو أن ما يرسل التابعيُّ حجة شريطة أن يكون المرسِل ثقة عدلاً غير مشهور بالتدليس والتساهل في الحديث، ولا معروفا عنه النسيان، اق الذهبي: «مراسيل الزهري كالمعضل؛ لأنه يكون قد سقط منه اثنان، ولا يسوغ أن نظن به أنه أسقط الصحابي فقط، ولو كان عنده عن صحابي لأوضحه ولما عجز عن وصله ... ومن عدّ مرسل الزهري كمرسل سعيد بن المسيب، وعروة ابن الزبير ونحوهما، فإنه لم يدرِ ما يقول، نعم

(١) سير أعلام النُّبَلاء، للذهبي ٢٠/ ٢١٦.

(٢) سير أعلام النُّبَلاء، للذهبي ٤/ ٤٧٢.

(٣) سير أعلام النبلاء ٢/ ٦٠٨.

كمرسل قتادة ونحوه»[١].

قبول خبر الواحد فيما تعم به البلوى، ورأي الإمام الذهبي :

قوله رحمه الله: «الثقة الثبت الذي ما غلط ولا انفرد بما لا يتابع عليه، بل الثقة الحافظ إذا انفرد بأحاديث كان أرفع له، وأكمل لرتبته، وأدل على اعتنائه بعلم الاثر، وضبطه دون أقرانه لأشياء ما عرفوها، اللهم إلا أن يتبين غلطه ووهمه فيالشئ فيعرف ذلك، فانظر اول شئ إلى أصحاب رسول الله ﷺ الكبار والصغار، ما فيهم أحد إلا وقد انفرد بسنة، فيقال له: هذا الحديث لا يتابع عليه، وكذلك التابعون، كل واحد عنده ما ليس عند الآخر من العلم»[٢].

حكم الأخذ بخبر الواحد إذا خالف القياس ورأي الإمام الذهبي :

نجد أن الإمام الذهبي (يقدم خبر الواحد على القواعد والأصول مطلقاً) واستدل لهذه المسالة (ميراث الدية) وذكر حديث أنَّ عمر بن الخطاب ﷺ كان يقول: «الدية للعاقلة، ولا ترث المرأة من دية زوجها شيئاً، حتى أخبره الضحاك بن سفيان ... الحديث، والحديث وهو من مراسيل ابن المسيب ولفظه كما أورده الذهبي ابن عيينة، عن الزهري، عن ابن المسيب أن عمر كان يقول: "الدية للعاقلة، ولا ترث المرأة من دية زوجها شيئا. حتى أخبره الضحاك بن سفيان أن رسول الله ﷺ

(١) ينظر: سير أعلام النبلاء ٥/ ٣٣٨.

(٢) ميزان الاعتدال ٣/ ١٤٠.

كتب إليه أن يورث امرأة أشيم الضبابي من ديته فرجع إليه عمر"[1].

معنى القياس عند الإمام الذهبي، ومقارنة معناه مع معنى القياس عند الأصوليين:

من المواضع التي توضح رأي الإمام الذهبي في القياس قوله: « قلت: من كتاب الله: {يحكم به ذوا عدل منكم} [المائدة:٩٥] فالصيد معلومة عينه، فالجزاء أمرنا أن نمثله بشيء من النعم، ومثله في تثبيت القياس: {لعلمه الذين يستنبطونه} [النساء:٨٣] والاستنباط غير منصوص. ثم عطف على موسى القطان فقال: أين وجدتم حد الخمر في كتاب الله، تقول: اضربوه بالأردية وبالأيدي ثم بالجريد فقلت أنا: إنما حد قياسا على حد القاذف، لأنه إذا شرب سكر، وإذا سكر هذى، وإذا هذى افترى»[2].

رأي الإمام الذهبي في حجية القياس:

من المواضع التي تدل على رأي الإمام الذهبي في المسألة قوله: « وأرى أن يعتبر قوله، إلا فيما خالف فيه القياس الجلي، وما أجمع عليه القياسيون من أنواعه، أو بناه على أصوله التي قام الدليل القاطع على بطلانها، فاتفاق من سواه إجماع

---

(١) المهذب في اختصار السنن الكبير ص٣٢٢٦ - كتاب - كتاب كفارة القتل - والحديث أخرجه أبو داود (٣/ ١٢٩ رقم ٢٩٢٧)، والترمذي (٤/ ٣٧١ رقم ٢١١٠)، والنسائي في الكبرى (٤/ ٧٨ - ٧٩ رقم ٦٣٦٣، ٦٣٦٤، ٦٣٦٥)، وابن ماجه (٢/ ٨٨٣ رقم ٢٦٤٢) من طريق سفيان به، وقال الترمذي: حسن صحيح.

(٢) سير أعلام النبلاء ١٤/ ٢٠٨.

منعقد، كقوله في التغوط في الماء الراكد ، وتلك المسائل الشنيعة، وقوله: لا ربا إلا في الستة المنصوص عليها ، فخلافه في هذا أو نحوه غير معتد به، لأنه مبني على ما يقطع ببطلانه. قلت: لا ريب أن كل مسألة انفرد بها، وقطع ببطلان قوله فيها، فإنها رد، وإنما نحكيها للتعجب، وكل مسألة له عضدها نص، وسبقه إليها صاحب أو تابع، فهي من مسائل الخلاف، فلا تهدر»[1].

مفهوم الاجتهاد عند الذهبي :

الناظر في تصانيف الإمام الذهبي رحمه الله لا يجد صراحة له تعريف للاجتهاد إمتاز به، أو أنه مال إلى أحد أقوال أهل العلم -رحمهم الله- عندما قاموا بتعريف الاجتهاد سواء منهم الفقهاء أو الأصوليين، ولكن من خلال الاستقراء والتمحيص والتدقيق لكلامه -رحمه الله تعالى- نجد أنه لم يخرج عن تعاريف واستنباطات الأصوليين؛ وذلك لأن الاجتهاد فيه إسناد لحكم شرعي سواء أكان عقديـًا أم أصوليـًا أم فقهيـًا أم عرفيـًا، فجميعها عند الامام الذهبي تسمى اجتهادا بقواعده؛ والإمام الذهبي لم يفرد تعريفـًا خاصـًا بالاجتهاد، ولكن ما وجدته في كلام عن الاجتهاد لم يخرج عن تلك المفردات التي عرَّف بها أهل العلم الاجتهاد، ومن ذلك قوله: «الأصوليون: أصول الفقه لا حاجة لك به يا مقلد، ويا من يزعم أن الاجتهاد قد انقطع، وما بقي مجتهد، ولا فائدة في أصول الفقه إلا أن يصير محصله مجتهدا

(١) سير أعلام النبلاء ١٣/ ١٠٦ -١٠٧.

به، فإذا عرفه ولم يفك تقليد إمامه لم يصنع شيئا، بل أتعب نفسه وركب على نفسه الحجة في مسائل، وإن كان يقرأ لتحصيل الوظائف ليقال، فهذا من الوبال، وهو ضرب من الخبال»[1].

ومن هنا نفهم مفهوم الإمام الذهبي عن الاجتهاد ووجوب المجتهد أن يستند بفتواه في المسائل على أصول الفقه، وسوف أقوم بسرد ما قاله في استناده على مفهومه عن الاجتهاد عند التعليق على بعض المسائل أو من خلال التراجم وما يفهمه القارئ منه رحمه الله تعالى .

(١) ينظر: زغل العلم للذهبي،ص٤١.

الخاتمة

الحمد لله على ما مَنَّ به عليَّ من إتمامه، فإن وُفِّقتُ في إخراجه فذلك فضل الله تعالى، وإن كان غير ذلك فإنما أنا بشر أُخطئ وأُصيب، هذا وأسأل الله أن يجعل عمليَ هذا خالصا لوجهه الكريم، وأن يوفقني لخدمة دينه القويم، إنه على ما يشاء قدير وبما قصدتُّ عليم. آمين.

أهم النتائج:

أولًا: يُعد الإمام شمس الدين الذهبي واحد من الأفذاذ القلائل في مسيرة علوم الحديث والرجال والتأريخ الإسلامي، وقد دلت آثاره العلمية واتجاهاته الفكرية على سعة أفقه وعلمه وحفظه، وقدرته الفائقة على نقد الرجال وتصوير التاريخ، حتى أصبحت أقوال الذهبي فيمن يترجم لهم ويؤرخ، تعتبر عند النقاد والمؤرخين الذين جاءوا بعده أقصى حدود الاعتبار.

وقد جمع الامامُ الذهبي بين ميزتين لم يجتمعا إلا للأفذاذ القلائل في تاريخنا، فهو يجمع إلى جانب الإحاطة الواسعة بالتاريخ الإسلامي حوادث ورجالاً، المعرفة الواسعة بقواعد الجرح والتعديل للرجال، فكان وحده مدرسة قائمة بذاتها. والامام الذهبي من العلماء الذين دخلوا ميدان التاريخ من باب الحديث النبوي وعلومه، وظهر ذلك في عنايته الفائقة بالتراجم التي صارت أساس كثير من كتبه ومحور تفكيره التاريخي.

ويعتبر الإمام الذهبي هو شيخ المحدثين ومؤرخ الإسلام، وأحد الأفذاذ في مسيرة علوم الحديث والرجال والتأريخ الإسلامي. ولعلَّ كتابه "سير أعلام النُّبَلاء"

-الذي هو محل بحثنا هذا- أكبر مثالٍ ودليلٍ على ذلك.

وقد قال عنه السيوطي رحمهما الله تعالى: " الإمام الحافظ محدث العصر وخاتمة الحفاظ ومؤرخ الأعلام وفرد الدهر والقائم بأعباء هذه الصناعة..، طلب الحديث وله ثماني عشرة سنة، فسمع الكثير ورحل وعين بهذا الشأن وتعب فيه وخدمه إلى أن رسخت فيه قدمه، وتلا بالسبع وأذعن له الناس..، والذي أقوله: إن المحدثين عيال الآن في الرجال وغيرها من فنون الحديث على أربعة: المزي والذهبي والعراقي وابن حجر ".

وقال الشوكاني رحمه الله تعالى: "وَجَمِيع مصنفاته مَقْبُولَة مَرْغُوب فِيهَا، رَحل النَّاس لأَجلهَا وأخذوها عَنهُ وتداولوها وقرأوها وكتبوها فِي حَيَاته وطارت فِي جَمِيع بقاع الأَرْض، وَله فِيهَا تعبيرات رائقة وألفاظ رشيقة غَالِبًا، لم يسْلك مسلكه فِيهَا أهل عصره وَلَا من قبلهم وَلَا من بعدهمْ، وَبِالْجُمْلَةِ فَالنَّاس فِي التَّارِيخ من أهل عصره فَمن بعدهمْ عِيَال عَلَيْهِ، وَلم يجمع أحد فِي هَذَا الْفَنِّ كجمعه وَلَا حَرَّره كتحريره".

ثانيًا:

- يجب العمل بكل ما جاءت به السنة المطهرة إذا صح الحديث وثبت عن النبي ﷺ.
- السُّنَّةَ تُخَصِّصُ عامَّ القرآن، وتفصل مجمله، وتفسر مبهمه، وتقيد مطلقه، وتأتي بحكم جديد.
- التفريق بين العقائد والأحكام الشرعية في أخبار الآحاد أمر أحدثه أهل البدع، بل الواجب اعتقاد ما ثبت في السنة الصحيحة، سواء كان ذلك عقيدة أو عبادة.

- السنة أثبتت أحكاما زائدة على ما في كتاب الله تعالى.
- السنة وحيٌ كالقرآن تمامًا، وأن الطعن فيها طعن في دين الله تعالى.
- خبر الآحاد المجرد عن القرائن يجب العمل بكل ما دل عليه، سواءً كان ذلك في الأصول أو في الفروع.
- خبر الواحد المحتف بالقرائن يفيد العلم، لأنه إذا كانت القرائن قد تفيد العلم مجردة عن الخبر فمن باب أولى إذا اقترنت بالخبر.
- أن من القرائن التي يحتف بها خبر الواحد وجوده في الصحيحين أو في أحدهما فلا يسع أحدٌ رَدَّه.
- أن خبر الواحد يجب العمل به إذا ثبت وأنه يفيد العلم وإن كان في أمر تعم به البلوى.
- أن تقسيم السنة إلى متواتر وآحاد أمر حدث في الأمة بعد أن لم يكن، ولا يجوز أن يُعوَّل عليه في قبول الأحاديث وردِّها.
- أن رد خبر الواحد في العقائد رد لأغلب الصفات وهدم لكثير من المسائل التي يجب اعتقادها في الشرع.
- أن السلف كانوا يشددون النكير على من أعرض عن شيء من السنة المطهرة إذا صح السند وثبت الخبر بغض النظر عن كونه من الآحاد أو من المتواتر.
- أن خَبَرَ الْآحَادِ من دين الله تعالى، وأن مَنْ أَنْكَرَ خَبَرَ الْآحَادِ فقد أَنْكَرَ الشَّرِيعَةَ.

ثالثًا:

- عرَّف الأصوليون القياس لغة في مصنفاتهم بعبارات مختلفة، ومعان متعددة:

كالتقدير، والمساواة، واستعلام القدر، والإصابة، والاعتبار، والتمثيل والتشبيه، والمماثلة.

- تفاوتت عبارات أئمة الأصول في التعبير عن حقيقة القياس، وبيان ماهيته، تبعًا لاختلافهم في اعتباره دليلا مستقلا كالكتاب والسنة، أم أنه من عمل المجتهد.
- القياس أصل من أصول التشريع وقع الخلاف بين علماء الأصول في حجيته وكونه مصدرا للتشريع الفقهي من عدم ذلك، وقد ذهب الجمهور إلى القول بحجيته، وأن الله -تعالى- تَعبَّدَنا به عقلا وشرعا.
- أركان القياس عند جمهور الأصوليين أربعة هي: أصل، وفرع، وعلة، وحكم الأصل.
- ينقسم القياس إلى خمسة أقسام: بحسب المعنى الجامع في الفرع، ويقسم إلى: أَولى

ومساوٍ وأدنى، كما ينقسم القياس إلى جلي وخفي، وإلى مؤثر وملائم، وإلى قياس علة ودلالة وقياس في معنى الأصل، وإلى قياس إخالة وسبر وتقسيم وشبه واطراد.

- ينبغي العمل على فتح باب الدراسة لكثير من موضوعات علم أصول الفقه ومسائله، وبحثها على وجه يظهر الخلاف ويعمل على الجمع بين وجهات النظر وتقريبها ما أمكن ذلك.

أهم التوصيات:

- الاهتمام بمسألة الاجتهاد وعلوم ضبطه.
- الاهتمام بضبط الحوادث والنوازل ودراستها وتحليلها وردها بالاجتهاد إلى

الأصول وإجراء الأقيسة الشرعية، والعمل استنباط الأحكام المناسبة.

- العناية بمقتضيات الحال والهيئة والأشخاص والزمان والمكان، ومدارات التحول والتغير عند إجراءات عمليات القياس.
- التوسع في الدراسات الفقهية وعلوم ضبطها، وبخاصة علم أصول الفقه وعلم المقاصد الشرعية.
- التوسع في تنظيم المؤتمرات والندوات التي تبحث في أدوات الاجتهاد والمجتهد وفَنِّه وطرقه وأسسه.
- العناية بمجامع الفقه والدراسات الشرعية الفقهية والأصولية والمقاصدية، والتوسع في إنشائها، ودعوة الباحثين الجادين إلى عضويتها ونشر أعمالها، وتناولها بالتحليل والدراسة والنقد.
- الدعوة إلى إنشاء مجلس أعلى، يضم المجامع الفقهية الإسلامية وكل المؤسسات العلمية المعنية بالبحث الشرعي والاجتهاد، وكافة العلماء المتحققين الذين لديهم ملكة الفقه وتوافرت فيهم متطلبات الاجتهاد، بحيث يمثل نواة يمكن أن يتحقق من خلالها إجماع في القضايا المعاصرة ومسائلها.
- الدعوة إلى إنشاء مجمع علم أصول الفقه، بوصفه العلم الضابط والأهم للاجتهاد والمجتهد فقها وعلما وفَنًّا.

قائمة المراجع والمصادر

- إعلام الموقعين عن رب العالمين، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت،الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
- الأعلام، المؤلف: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ)، الناشر: دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر - أيار / مايو ٢٠٠٢ م.
- الإمام الذهبي وجهوده في الدعوة إلى الله تعالى، رسالة ماجستير من جامعة الإمام محمد بن سعود عام ١٤٢٠هـ.
- الانتصار لأصحاب الحديث، المؤلف: أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: ٤٨٩هـ)، المحقق: محمد بن حسين بن حسن الجيزاني، الناشر: مكتبة أضواء المنار – السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م .
- البداية والنهاية، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: علي شيري، الناشر: دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الأولى ١٤٠٨، هـ - ١٩٨٨ م.
- بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، المؤلف: أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة، أبو جعفر الضبي (المتوفى: ٥٩٩هـ)، الناشر: دار الكاتب العربي – القاهرة، عام النشر: ١٩٦٧ م.

- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام،المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨ هـ)،حققه وضبط نصه وعلق عليه: د/ بشار عوّاد معروف،الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت،الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣ م.
- تاريخ بغداد، المؤلف: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، المحقق: الدكتور بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢ م .
- تذكرة الحفاظ،المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨ هـ)،وضع حواشيه: زكريا عميرات،الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان،الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ- ١٩٩٨ م.
- تعريف بالأعلام الواردة في البداية والنهاية لابن كثير، المؤلف: موقع الإسلام، الموسوعة الشاملة.
- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، المؤلف: إبراهيم بن علي بن محمد، ابن فرحون، برهان الدين اليعمري (المتوفى: ٧٩٩هـ)، تحقيق وتعليق: الدكتور محمد الأحمدي أبو النور، الناشر: دار التراث للطبع والنشر، القاهرة.
- الذهبي ومنهجه في تاريخ الإسلام، المؤلف: بشار عواد معروف، الناشر: عيسى البابي الحلبي - جامعة بغداد، الطبعة الأولى ١٩٧٦م.
- ذيل تذكرة الحفاظ، المؤلف: شمس الدين أبو المحاسن محمد بن علي بن الحسن بن حمزة الحسيني الدمشقي الشافعي (المتوفى: ٧٦٥هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م .

- رفع الملام عن الأئمة الأعلام، المؤلف: تقي الدين أبو العَباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، طبع ونشر: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض - المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.
- الرواة الثقات المتكلم فيهم بما لا يوجب ردهم،المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، المحقق: محمد إبراهيم الموصلي،الناشر: دار البشائر الإسلامية - بيروت – لبنان،الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
- زغل العلم، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، تحقيق: محمد بن ناصر العجمي، الناشر: مكتبة الصحوة الإسلامية.
- سير أعلام النبلاء، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م .
- طبقات الحفاظ للذهبي = تذكرة الحفاظ، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

- طبقات الحفاظ، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣هـ.
- طبقات الحنابلة، المؤلف: أبو الحسين محمد بن أبي يعلى،وقف على طبعه وصححه: محمد حامد الفقي،الناشر: مطبعة السنة المحمدية – القاهرة،عام النشر: ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م،(وصورتها دار المعرفة، بيروت).
- طبقات الشافعية الكبرى، المؤلف: تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (ت ٧٧١هـ)، المحقق: د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلو،الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، ١٤١٣هـ.
- العبر في خبر من غبر، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، المحقق: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.
- معجم الشيوخ الكبير للذهبي، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، المحقق: الدكتور محمد الحبيب الهيلة، الناشر: مكتبة الصديق، الطائف - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .
- المعجم المختص بالمحدثين، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، تحقيق: د. محمد الحبيب الهيلة، الناشر: مكتبة الصديق، الطائف، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

- منهج الإمام الذهبي في العقيدة وموقفه من المبتدِعة، المؤلف: سعيد بن عيضة الزهراني، رسالة ماجستير من جامعة الإمام محمَّد بن سعود الإسلاميَّة ١٤١١هـ.
- الموقظة في علم مصطلح الحديث، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، اعتنى به: عبد الفتاح أبو غُدّة، الناشر: مكتبة المطبوعات الإسلامية بحلب، الطبعة: الثانية، ١٤١٢ هـ.
- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٣ م.
- نقد الإمام الذهبي للمتن في كتابه سير أعلام النبلاء، المؤلف: مريم بنت أحمد الخالد، رسالة ماجستير جامعة الملك سعود، عام ١٤٣١هـ.

فهرس الموضوعات

موجز عن البحث ٤٧٨

المقدمة ٤٨١

سبب اختياري لهذا الموضوع: ٤٨٢

إشكالية البحث: ٤٨٣

أهداف الدراسة: ٤٨٣

الدراسات السابقة: ٤٨٣

منهج البحث: ٤٨٥

خطة البحث: ٤٨٧

التمهيد : ترجمةُ الإمامِ الذَّهَبِيِّ ٤٨٨

المطلب الأول: اسمه ونَسَبُه وكنيته ومولدُه ونشأتُه ٤٨٨

اسمه ونسبه: ٤٨٨

كنيته: ٤٨٩

مولده ونشأته العلميَّة ورحلاته: ٤٨٩

المطلب الثاني: شيوخُه وتلاميذُه ٤٩١

شيوخ الإمام الذهبي: ٤٩١

تلاميذ الإمام الذهبي: ٤٩٤

وفاته: ٤٩٥

المبحث الأول : عناية الإمام الذهبي في بيان أهمية علم أصول الفقه ٤٩٦

المبحث الثاني : عناية الإمام الذهبي بعلم أصول الفقه من خلال كتبه ومكانتها العلمية، وما يتعلق منها بالأصول..... ٤٩٨

كتب الإمام الذهبي ومكانتها العلمية:..... ٤٩٨

عناية الإمام الذهبي بعلم الأصول ومؤلفاته الأصولية: ٥٠٥

حجية المراسيل ورأي الإمام الذهبي فيها : ٥٠٧

رأيه في مراسيل غير الصحابة رضي الله عنهم : ٥٠٧

قبول خبر الواحد فيما تعم به البلوى، ورأي الإمام الذهبي :..... ٥٠٨

حكم الأخذ بخبر الواحد إذا خالف القياس ورأي الإمام الذهبي : ٥٠٨

رأي الإمام الذهبي في حجية القياس: ٥٠٩

مفهوم الاجتهاد عند الذهبي : ٥١٠

الخاتمة ٥١٢

أهم النتائج: ٥١٢

أهم التوصيات: ٥١٥

قائمة المراجع والمصادر ٥١٧

فهرس الموضوعات..... ٥٢٢